5- نقد الاصول (تقييم المصادر)

بعد ان ينتهي الباحث من عملية جمع الاصول (المصادر الاولية والمراجع الثانوية) التي تخص بحثهُ، عليه القيام بعملية تقييم (نقد) لهذهِ الاصول والتأكد من صحتها وفائدتها، وتكون هذهِ العملية (نقد الاصول) من خلال نوعين من النقد وتقييم المصادر وهما:

1. النقد الخارجي (الظاهري)

2. النقد الداخلي (الباطني) ويقسم الى قسمين

أ- النقد الداخلي الايجابي

ب- النقد الداخلي السلبي

1. النقد الخارجي (الظاهري) يهتم بالنص نفسهُ

وهو محاولة الباحث للوصول الى تحديد دقيق لصحة الاصول او الوثائق التي يتعامل معها، ويهدف الى اثبات صحة النص وخلوه من الزيادة والنقص والتحريف والتزييف فأذا كان النص والوثيقة كلهُ او بعضه مزيفاً او منحولاً لا يمكن الاعتماد عليه والاخذ منه في كتابة البحوث التاريخية. وهذا العمل النقدي يتطلب معارف وخبرات منها:

أ‌. ان يكون الباحث ملماً باللغة التي كتب بها النص.

ب‌. ان يكون عالماً بالخطوط الخاصة بالنصوص التي يعمل بها.

ج‌. ان يكون على علم بالاخطاء الشائعة الخاصة بتلك اللغة والعصر الذي كتبت فيه الوثيقة او النص. خاصة اخطاء النساخ.

ويتبع المؤرخون ثلاثة وسائل لكشف مصداقية المصدر وهي:

أ‌. مقارنة النصوص التاريخية بعضها مع البعض الآخر للتأكد من مطابقة المعلومات التاريخية الواردة فيها وهذا يؤكد صحة واصالة الوثيقة او النص.

ب‌. تحديد كاتب الوثيقة وتأريخ ومكان كتابة الوثيقة من خلال متابعة مصدر الوثيقة.

ج‌. تحديد مكان وزمان الحدث التاريخي المدروس.

هناك وثائق قديمة تمت عليها بعض الاضافات لابد من تمييزها عن النص الاصلي ويمكن تقسيم الاضافات الى قسمين:

1. الحشو: هو ادخال كلمات او جمل في نص لم تكن فيه من قبل اما لغرض الايضاح، لان النص قد يصعب فهمه على الناسخ الجاهل او القارئ غير العالم، او انه متعمداً فيضاف او يستبدل بعبارات المؤلف عبارات اخرى بقصد الاكمال، او التوكيد او التجميل او التحريف لاسباب معينة.

2- اما الاكمال: فهو كثير الحدوث عند الاخباريين في العصور الوسطى الذين اكملوا المدونات الخاصة بهذهِ العصور قرناً بعد قرن دون ان يهتم المكمل بذكر من اين ابتدأ اكماله واين انتهى.

مثلاً ان مؤلف اثناء تأليفهِ انقطعت عنه اخبار واقعة معينة فاكتفى بما لديه من معلومات. وجاء احد الاخباريين واكتملت لديه المعلومات فدونها واكملها من دون ان يذكر الى اين ينتهي كلام المؤلف ويبدأ كلام الاخباري.

ويمكن تمييز الحشو والاكمال دون عناء اذا توفرت نسخ كثيرة من الوثيقة خاصة اذا كان لدينا بعض النسخ التي تمثل النص الاصيل قبل الحشو والاكمال.

اما اذا كانت كل النسخ قد تم فيها الحشو والاكمال فتكون المهمة صعبة ويجب دراسة اسلوب الوثيقة هل هو واحد من بدايتها الى نهايتها وهل يوجد نقص او انقطاع في تسلسل الافكار؟ وهل كان لواضعي الحشو والاكمال شخصية بارزة ودوافع واضحة في هذا العمل؟

ويمكن بواسطة التحليل فصل الوثيقة الاصلية.

2- النقد الداخلي (الباطني):

وهو توضيح ما قصده المؤلف من كلامه ومعرفة صدق الرواية اي ان النقد الباطني يعمل على التأكد من النص ومعناه من خلالهِ يتوصل الباحث الى فهم معنى الوثيقة او الاصول

والنقد الباطني (الداخلي) في اصول البحث التاريخي نوعين:

أ‌. نقد داخلي (باطني) ايجابي.

ب. نقد داخلي (باطني) سلبي.

أ.النقد الداخلي (الباطني) الايجابي:

مهمته تفسير النص وتوضيح معناه فهو يهدف الى تحليل محتويات الوثيقة للتأكد من معنى الالفاظ والقصد الحقيقي للمؤلف عند كتابة الوثيقة اي التأكد من المعنى الحرفي والمعنى الحقيقي للنص او الوثيقة.

لان اللغة تتغير من زمان لاخر ومن مكان لاخر فضلاً عن ان التعبير او اللفظ يختلف معناه بحسب موضعهُ من الجملة في النص.

1. النقد الداخلي (الباطني) السلبي:

يركز على مؤلف النص ويكشف اهوائه ودرجة دقتهُ في نقل الرواية، ويوضح اهداف المؤلف من تأليفهِ الوثيقة او النص ويهدف الى الابتعاد عن الاقوال الكاذبة، والشك في كل اقوال مؤلف النص او الوثيقة، وعلى الباحث في التاريخ ان يشك في كل الوثائق ويفترض عدم الامانة في الراوي وعليه ان يتحقق من امانتهِ، وكل ما لم يثبت صحته يجب ان يبقى في دائرة الشك ولا يجوز للباحث البت في معلومات النص او الوثيقة دون ان تتوفر لديه الادلة الكافية لاثبات صحتها.

وحتى يتمكن الباحث من معرفة اهواء المؤلف وعوامل الكذب او الخطأ يكون النقد على ناحيتين

أ‌. التأكد من الصدق والعدالة، يعني هل المؤلف كذب او لا لم يكذب.

ب‌. التأكد من صحة المعلومات التي يذكرها المؤلف في النص ومدى دقتها وهل اخطأ او خدع او لا.

ويمكن تلخيص الناحيتين في كلمتين (النزاهة والدقة) فالنزاهة تتعلق بامانة المؤلف في نقل الرواية.

والدقة: تتعلق بالنص اي قد يكون صاحب الوثيقة او المؤلف قد وقع فريسة لوهم من الاوهام جعله يصور الحادث على النحو الذي دونهُ.

وهناك اسباب قد تدفع المؤلفين او المؤرخين الى الكذب ابرزها هي:

أ‌. الكذب طمعاً في الحصول على مصلحة شخصية او منفعة عملية، والدافع لهذا الكذب هو الفائدة المالية.

ب‌. قد يمر المؤلف في ظروف تجبرهُ على الكذب او التلفيق او قد تضطره بعض الظروف السياسية الى اخفاء معلومات معينة، او قد تغفل الوثائق الرسمية عن ذكر بعض الحقائق لاسباب تتعلق بالمصلحة الوطنية.

ج‌. قد يكون المؤلف يميل لفئة معينة من الناس (حزب او فرقة سياسية، او اسرة دينية، او طائفة او قبيلة) فتحملهُ عاطفتهُ على ابراز النواحي الايجابية لهذهِ الفئة واعطاء فكرة حسنة عنهم وسيئة عن خصومهم.

د‌. في بعض الاحيان قد يزيف كاتب الوثيقة الاقوال بكسب ود وتعاطف جمهور الناس وتملقاً لهم فيذكر اخبار تتناسب مع ذوقهم و رغبتهم.